



مُكتسو البياض... في رحب المشاعر

تلك الجموع الغفيرة التي لبّت النداء باستجابةٍ فطرية، قاصدةً أرضاً جعلها الله مهوى الأفئدة؛ وخير البلاد وأطهرها وأجلّها، يتوافدون في كل عام ثائنين بأفئدةٍ ملؤها الاشتياق، وأنفسٍ أضنتها الحياة، وأعينٍ فاضت بالدمع، وألسنةٍ لهجت مليبةً ذاكرة، وأكفٍ رُفعت داعيةً راجية، مستجيبين لنداءٍ واحدٍ لربِّ واحد، نداءٍ أسمعته الله كل من في الأرض أجمع، حتى النطف في الأصلاب والأرحام، نداء سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث أمره الله تعالى كما قال في كتابه العظيم: **{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}** [الحج: ٢٧].

في كل عام نرى الطرق المكتسية بالبياض، وإقبال المسلمين من كل أصقاع الأرض إلى هذه البقعة المباركة، وبين المشاعر المقدسة، محتشدين في مكانٍ واحد، ومتشحين برداءٍ واحد، لا فرق بينهم ولا

تميز، ذاك المشهد الجليل الذي يراه كل من أنعم الله عليه ببلوغه، ويُبَيِّتُ عبر الشاشات؛ حاملاً عبرات الحجاج وحبورهم؛ لتصل لكافة المسلمين، ونعلم أن هذه الشعيرة قائمة، وأن هذا البلد مثابةً في كل حين.

وفي الآونة الأخيرة وبرغم اجتياح الوباء العالم بأسره، انتقضت الحياة على إثره وتغير مجراها، وأوصدت الأبواب؛ حفاظاً على الأرواح، إلا أنه ما زال المسلمون يتهافتون ويبدلون ما بشق الأنفس؛ لتُضم أسماؤهم لثلة مكتسي البياض وذوي الحظ العظيم، وقد لا يحالفهم الحظ للحاق بالركب، فتصيبهم حسرة، وتأتي هذه الآية لتهدئ ما بأنفسهم، حيث قال الله جل وعلا: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}** [آل عمران: 97]، **{مَنِ اسْتَطَاعَ}** وكأنما في ذلك تسكين لنفسٍ أضرمت شوقاً، وروحٍ تافت حُباً، وأيدٍ قبضت وبدلت ما تستطيع، ولكن مشيئة الله عز وجل فوق كل ذلك، فمن حباه الله البلوغ فقد بلغ، ومن لم يبلغ فبنيته يكون قد بلغ، وقد جعل الله عز وجل في ذلك أنساً وحياة، وطمانينة تطوق أفئدة عُرس بها حُب فطري لبلاد الطُهر، وندعو الله أن تُجلى الغمامة وتعود الحياة لمجراها، ونرى الملايين يتوافدون إلى رحب المشاعر.